بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:11/01/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((سنة الله مع الذنوب و السيئات))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فنحن جميعاً عما قريب ماضون إلى دار لا درهم فيها ولا دينار، لا ينفع فيها مال ولا بنون، ليس هنا إلا الحسنات والسيئات، وإنه من عمل الحسنة كوفئ بها، ومن عمل السيئات جوزي عليها، وإن القاضي بصير وهو لا يحابي ولا يماري ولا يميل لقوم دون قوم فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) ﴾[النساء]

نحن في الخطبة الثالثة من سلسلة ((**السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن**))، تحدثنا لماذا هذه السلسلة؟! والأسبوع الماضي سنة الله في التغيير...

وعنوان خطبة اليوم: ((**سنة الله في الذنوب والسيئات**))...

ما هو قانون الله تعالى في الذين يعملون الذنوب إن كانوا مؤمنين وإن كانوا غير مؤمنين!!؟

ما سنة الله تعالى في الذين يراكمون السيئات إن كانوا مؤمنين وإن كانوا غير مؤمنين!!؟

إني وجدت في القرآن الكريم أكثر من مائة وخمس وعشرين آية تتحدث عن الذنوب والسيئات والمعاصي...

والذنب: هو كل فعل تستقبح عاقبته.

كل فعل تستقبح عاقبته هو ذنب، مأخوذ من ذنب الشيء...

والسيئة: هي الفعلة القبيحة.

والمعصية: هي الخروج عن الطاعة والأمر....

والذنب والسيئة والمعصية يجمعها جامع الخروج عن طاعة الله...

هذه المواضع التي زادت عن مائة وخمس وعشرين موضعاً في القرآن تتحدث عن الذنوب والسيئات والمعاصي وجدتها تنتظم في خمس قوانين إلهية في الذنوب والسيئات...

أقدمها لكم في هذه الخطبة: السنن الإلهية في الذنوب والسيئات...

السنة الأولى: من يعمل سوءا يجز به:

هذا قانون وهو قانون مخيف وبعض الصحابة قالوا هذه أشد آية في القرآن.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) ﴾ [النساء]

روى المفسرون في سبب نزول الآية:

تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أحق بالله منكم، فقال المؤمنون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على سائر الكتب ومهيمناً عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية في سورة النساء:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) ﴾ [النساء]

قال العلماء لفظ الآية عام لأن من ﴿ ooمَنْ يَعْمَلْ سُوءًاoo (123) ﴾ [النساء] من ألفاظ العموم **فالكافر والمؤمن مجازى بعمله السيء، فأمام مجازاة الكافر فالنار لأن كفره أوبقه، وأما المؤمن فنكبات الدنيا.**

كان يشوب الماء باللبن فجاء سيل فذهب بالغنم، فجعل يبكي فهتف هاتف اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً...

ولسان الجزاء يناديك يداك أوكتا وفوك نفخ

اذكر غفلتك عن الأمر وقت الكسب، من يعمل سوءاً يجز به.

قال العلماء: دخل في هذه الآية البر والفاجر والعدو والولي والمؤمن والكافر، وقد أنزل الله تعالى هذه الآية على الصحابة الكرام وهم من هم....

يا أيها الإخوة هذا القانون يقول: كل من يسيء سيلقى جزاءه إن في الدنيا أو في الآخرة:

﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (8) ﴾[الزلزلة] إن في الدنيا أو في الآخرة.

قد تكون العقوبة قلة التوفيق، إذا رأيت قلة توفيق في عملك انظر في نفسك هل أسأت...قد تكون العقوبة فساد الرأي...قد تكون فساد القلب...قد تكون خمول الفكر...قد تكون إضاعة الوقت...قد تكون نفرة الخلق...قد تكون منع إجابة الدعاء...قد تكون قسوة القلب....قد تكون محق البركة في الرزق والعمر...قد تكون حرمان العلم...قد تكون لباس الذل....قد تكون إهانة العدو...قد تكون الابتلاء بقرناء السوء إذا رأيت في قلبك تعلقاً كبيراً برفاق سيئين انظر لعل لك سيئة فعلتها فكان الجزاء أن يعلق قلبك بالسيئين..قد تكون نشوزاً في الزوجة، إذا رأيت من زوجتك نشوزاً وتغيراً في طبعها فراجع نفسك مع ربك...قد تكون سوء خلق الزوج...قد تكون طول الهم والغم...قد تكون ضنك المعيشة...قد تكون قسف البال...**وأخطرها الوحشة بين العبد والرب**....أن تشعر بجفاء بينك وبين ربك راجع نفسك.

قال رجل يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني!!؟ فكأنه سمع هاتفاً يهتف به ويقول: كم أعاقبك ولا تشعر، ألست أحرمك لذة مناجاتي!!!

إذا رأيت قسوة في قلبك بالصلاة أو بالذكر أو جفاء بينك وبين الله فراجع نفسك.

القانون الأول: ﴿ ooمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ oo﴾(123) ﴾ [النساء]

القانون الثاني: الجزاء بقدر السيئة ﴿ . . .وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) ﴾ [الكهف]:

إذا عاقب فالعقوبة تتناسب مائة بالمائة مع الذنب. قال تعالى في سورة غافر:

﴿ oo مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا oo(40) ﴾ [غافر] ربك لا يظلم ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) ﴾[غافر]

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) ﴾ [هود]

تاجر في سوق مدحت باشا نزل باكراً إلى متجره، والحادثة مضى عليها أكثر من أربعين سنة، صعد إلى سقيفة المحل التي جعلها مكتباً لأوراقه وحاجاته الخاصة وراح يرتب أوراقه وحاجاته فسمع صوت صراخ ومشاجرة أمام محله في السوق فأطل برأسه من النافذة ليرى الأمر فإذا بشابين يتشاجران ويتدافعان، أخرج أحدهما مسدساً وأطلق عياراً نارياً في السماء وإذا بالعيار الناري يصيب هذا التاجر في رقبته فيقع أرضاً، حمل إلى المشفى وإذا بالعيار الناري يخترق النخاع الشوكي ليصاب التاجر بعدها بشلل رباعي غير ردود...

أحد جوار التاجر حزن حزناً شديداً على جاره وكاد أن يفقد صوابه ما ذنب هذا المسكين!!؟

ما علاقته بالأمر حتى يصاب به!!؟

ذهب إلى أحد الشيوخ ليقص عليه القصة ويسأله أين عدل الله لماذا هذا الظلم لهذا الرجل!!؟

فقال له الشيخ: يا ولدي لا تسرع في الأحكام أنت لم تر إلا مشهداً واحداً من مشاهد القصة ولعل للقصة مشاهد أخرى لا تعلمها ولا أعلمها...

بعد أيام يحدثه أحد معارفه يقول له: يا شيخنا ما أعظم عدل الله، أحد تجار سوق مدحت باشا خلف له أبوه أيتاماً في حجره مع مال لهم، أنفق عليهم العم حتى كبروا، و لما بلغوا مبلغ الرجال طالبوه بمالهم فدفعه إليهم منقوصاً مبلغاً يساوي ثمن منزل في تلك الأيام...

فلما سألوه قال لهم: إنه لن يعطيهم إلا ما دفع وإنه مستحق لأتعاب إشرافه عليهم حتى بلغوا هذا المبلغ من الفتوة، فاستعطفوه ورجوا منه أن يعطيهم مالهم فما فعل...

فكروا برفع دعوى إلى المحكمة واستشاروا أحد كبار شيوخ دمشق فاستدعاه الشيخ محاولاً رده عن أكله مال اليتيم فأبى...

فقال الشيخ للأولاد: أرى أن لا تشكوا عمكم إلى المحاكم حفاظاً على سمعة عائلتكم وعلى سمعتكم، ثم ليس حسناً أن يتحاكم العم وابن أخيه أمام أقواس المحكمة، إذا أردتم الشكوى فارفعوا شكواكم إلى الله ويبدو أن الأيتام رفعوها إلى القاضي الذي لا يظلم عنده أحد...

يتابع هذا الذي يحدث الشيخ فيقول: قبل أسابيع أصاب هذا التاجر عيار ناري في نخاعه الشوكي فأوقعه أرضا مصاباً بشلل رباعي...لما سمع الشيخ الحديث ذهب إلى جار التاجر الذي جاءه سابقا ليسأله أين عدل الله و ما ذنب هذا التاجر؟...ليخبره أن ما رآه هو كان المشهد الأخير بينما المشاهد الأولى هي ما حدثه به هذا القريب ﴿ . . .وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) ﴾ [الكهف]

﴿ oo مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا oo(40) ﴾ [غافر] والجزاء بقدر السيئة.

القانون الثاني في الذنوب والسيئات: الجزاء بقدر السيئة..

القانون الثالث: الذنوب سبب المصائب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30) ﴾ [الشورى]

أي وما أصابكم أيها الناس من مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة نحو الآلام والأسقام والقحط والغرق وأشباهها فبما كسبت أيديكم أي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها...ويعف عن كثير أي ويعف عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها آجلاً أو عاجلاً...

قال ابن تيمية: من المعلوم بما أرانا الله في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به كتابه أن المعاصي سبب المصائب...

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى]...

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ . . (165) ﴾ [آل عمران]

القانون الثالث: هو المعاصي سبب المصائب...

القانون الرابع: الذنوب دون توبة إذا اجتمعت أهلكت صاحبها...مائة بالمائة.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ [الأنعام]

كل النعم التي أرسلنا، كل العطايا التي منحنا، لم توجههم إلينا بل غرقوا بالذنوب فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعده قرناً آخرين...

وهذه سنة مضطردة وحقيقة ثابتة وقانون إلهي ماضٍ في الأفراد والأقوام والأمم، حين تفشوا فيهم الذنوب فإنها تهلك إما بقارعة، وإما بالانحلال البطيء الذي يسري في كيان الأمة وهي توغل في متاهات الذنوب وتحسب أنها في أمان بليغ...

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21) ﴾ [غافر]

وفي سورة العنكبوت وبعد أن ذكرت الآيات حديثاً عن سيدنا نوح وكيف أغرق الله قومه بذنوبهم، وتحدثت عن سيدنا لوط وكيف أهلك الله قومه بمعاصيهم، وعن شعيب وهود وموسى وما فعل أقوامهم وما جازاهم الله به، جاءت الآية الأربعين من سورة العنكبوت:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ. . . ﴾[العنكبوت] – الذنوب أيها الإخوة سبب للهلاك –...

كل أسرة تجتمع فيها الذنوب مائة بالمائة ستهلك لأن صاحب القرار هو الله، لأن صاحب هذا القانون هو الله، لأن هذه السنة إلهية...كل فرد سيبقى على ذنوبه ولن يتراجع مائة بالمائة سيهلك...كل دولة وأمة شرقية أو غربية غنية أو فقيرة صاحبة موارد بشرية أو بغير موارد، ذات ثروات باطنية أو بغير ثروات، ذات مستوى علمي رفيع أو مستوى علمي هابط إذا تمادت في ذنوبها ستجتمع عليها الذنوب حتى تهلكها...

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40) ﴾ [العنكبوت]

لذلك يا أيها الإخوة المسارعة المسارعة في الرجوع إلى الله إن الله يمهل ولا يهمل..إن الله يمد لكنه لا ينسى...

إذا رأيت في نفسك ذنوباً ارجع سريعاً قبل أن تأتي الهلكة فالذنوب من غير توبة تهلك أصحابها ولذلك قال الصالحون: **خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً...**

إذا رأيت الله يعطيك من المال ومن الجاه ومن السمعة الطيبة ومن الصحة والعافية ومن الوسامة ومن المكانة والمنزلة وأنت تستمر في المعاصي فلا تفرح الأمر مخيف جداً فأنت مستدرج إلى لحظة الهلاك. **خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً...**

القانون الرابع: الذنوب والمعاصي دون توبة سبب للهلكة...

القانون الخامس والأخير من القوانين الإلهية في الذنوب والسيئات: من ترك الذنب تائباً سامحه الله تعالى..

وهذه من رحمة الله تعالى بنا هو يعلم أننا نقصر ففتح باب التوبة، وقال كل من تاب، كل من أقلع عن الذنب لن أذهب به نحو الهلكة، لن أكافئه بسيئاته بل ربما بدل سيئاته بحسنات، وهذا قانون لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ... ﴾ –يعني ترك الذنب– ﴿ .. وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا... ﴾ –بعد تركه للذنوب اتجه لعمل الصالحات ﴿ ..ثُمَّ اهْتَدَى..(82) ﴾ [طه]

وقال الله تعالى: ﴿ ...وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) ﴾ [التغابن]

وقال ربنا: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.. (114) ﴾ [هود]

فيا أيها الأخوة ترك الذنوب ورد الحقوق إلى أصحابها وفعل الحسنات والاستغفار، هذه التوبة يمحو الله بها الخطايا ويعف بها عن العباد فلا يهلكهم ولا يعذبهم...

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) ﴾ [الأنفال]

وختاماً أرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) ﴾ [الزمر]

ولكن اترك الذنب ورد الحقوق إلى أهلها واعمل الأعمال الصالحة واستغفر الله فإن الله غفور رحيم....

يا أيها الإخوة هذه سنن إلهية خمسة في الذنوب والمعاصي:

1- **من يعمل سوءا يجز به...**
2- **الجزاء بقدر السيئة...**
3- **الذنوب سبب المصائب...**
4- **الذنوب دون توبة تهلك أصحابها...**
5- **من ترك الذنب تائبا سامحه الله تعالى...**

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين..